



SIATS Journals

**The Journal of Sharia Fundamentals for
Specialized Researches**

(JSFSR)

Journal home page: <http://www.siats.co.uk>



مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

المجلد 5 ، العدد 1 ، كانون الثاني، يناير 2019م.

e ISSN 2289-9073

AL'IMAM ALBYHQY MAKANATUH ALEILMIAT WALKHASAYIS ALMANHAJIAT
LIKITABIH ALSUNN ALKUBRAA

الإمام البيهقي مكانته العلمية والخصائص المنهجية لكتابه السنن الكبرى

د.ساجدة حلمي سمارة

الأستاذ المشارك د. نجم عبد الرحمن خلف

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية/ كلية دراسات القرآن والسنة

sajedah@usim.edu.my

1440 هـ – 2019م



ARTICLE INFO

Article history:

Received 29/9/2018

Received in revised form 5/10/2018

Accepted 12/12/2018

Available online 15/1/2019

Keywords:

Insert keywords for your paper

ABSTRACT

Allaah (SW) has prepared for Imam Abu Bakr Ahmad bin Al-Hussein Al-Bayhaqi, a righteous foundation upbringing, and bestowed upon him with a noble start and upbringing, which led him to a prominent position in his journey for seeking knowledge and work. This work seeks to examine the life of Imam Al-Bayhaqi and his scholarly approach, in an attempt to fairly appreciate his scholarly status and the factors that played important roles in the formation of his figure. We will also investigate the praise of various imams with regards to his biography, knowledge and scholarly status. These were not only embodied in his disciples, but also in his work, which was a pioneer in its field and a leader in its quantity and impact on the Umma. One of his most important works is *Al-Sunan Al-Kubra*, which has unique methodological characteristics; the contents were arranged by subjects in different chapters on Fiqh (jurisprudence). In this book, Al-Bayhaqi took care of the analytical and critical provisions, in addition to the jurisprudential tabulations and the judicial interpretations of text and reference. He also included the jurisprudential benefits that were inferred from Hadeeth and Athar, illustration of strange and unclear words, the combination of Hadeeth Mukhtalif (different narrations), and more. The methodology of this research will be critical and inductive



الملخص

لقد هيا الله سبحانه وتعالى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي النشأة الصالحة الحسنة، ومن عليه بسلامة المنطلق وجودة الابتداء فآلت أموره إلى هذه المكانة الرفيعة في مجال العلم والعمل؛ ولهذا سنتحدث في هذا البحث عن الإمام البيهقي ومنهجه بما يكشف عن مكانته العلمية، وعن العوامل المؤثرة في تكوينه وإعداده. وستعرض لأقوال الأئمة في توثيقه وحسن الإشادة بسيرته، وعلمه، وبيان مكانته العلمية التي تتجسد في طلابه الذين تخرجوا به، ومصنفاته العلمية الرائدة في كثرتها وقوتها وعظيم أثرها في الأمة. ومن أهمها كتابه السنن الكبرى وخصائصه المنهجية حيث رتب كتابه ترتيباً موضوعياً على الأبواب الفقهية، واعتنى بالأحكام النقدية بالإضافة إلى التبويبات الفقهية، والاستنباطات الحكيمة بالنص أو الإشارة؛ مع الفوائد الفقهية المستنبطة من الأحاديث والآثار، وبيان الغريب من الألفاظ والعلل، والجمع بين المختلف من الحديث وغير ذلك من الفوائد"وهنا تكمن أهمية هذا البحث حيث يوضح مكانة عالم مهم كالبيهقي ويتناول بالتوضيح والشرح أهم أثر وعمل من أعماله وهو كتاب السنن الكبرى، وستكون منهجية هذا البحث استقرائية نقدية.

المقدمة

لقد تمكن الإمام البيهقي - رحمه الله - بما رزق من التبكير في طلب العلم وتبعبه، والحماسة في حب العلم وجمعه، والبيئة الغامرة العامرة بالكبار من الأعلام في كل فن من فنون العلم، فاستطاع أن يتخرج في وقت مبكر على يد كبار أئمة العصر وحفاظه، وأن يدرك العوالي من أسانيدهم، ويسمع ويتحمل من الرويات هذا الرصيد الهائل الغزير الذي أبانت عنه تصانيفه الكثيرة، وقد بلغ عدد شيوخه (230) شيخاً، كلهم قد لقيهم، وسمع منهم، وأخذ عنهم، وتخرج بهم.

ومن منن الله تعالى وحسن رعايته للإمام البيهقي أن جعله من أبناء مدينة نيسابور، فكان أول ما استقل في طلب العلم ونشط في تحصيله - بعد مرحلة الكتاتيب - وجد العلماء الأفاضل والمتخصصين المبدعين من حوله أينما توجه، يتلقى عنهم كما يجب، ومتى يجب؛ وذلك لوفرهم وكثرتهم في بلده، فمدينة نيسابور كانت وقتذاك مدينة العلم والبحث والثقافة وكانت تمتلئ بالأجلاء من العلماء والمتخصصين في العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية وغير ذلك.

فإن لتبكير الإمام البيهقي في طلب العلم، وتوافر البيئة العلمية ذات المستوى العالي والعدد الوفير، وبما امتيازت به شخصيته منذ نشأته من الحماسة الصادقة، والرغبة الجارحة في حب العلم، والاجتهاد في طلبه وتبعبه، وما وهبه الله سبحانه وتعالى من الاستعدادات النفسية والعقلية، كل هذه الظروف تضافرت لتخرج للأمة هذا النموذج المميز من الأئمة الأعلام والعلماء الأفاضل الكرام.

كما سنتحدث عن العامل الثاني المهم، وهو عامل الرحلة الواسعة في طلب العلم، والتبكير فيها. أما العامل الثالث وهو أقوال الأئمة في توثيقه وحسن الإشادة بسيرته، وعلمه، ومصنفاته، وبيان مكانته العلمية التي تتجسد في طلابه الذين تخرجوا به، ومصنفاته العلمية الرائدة في كثرتها وقوتها.

مكانة الإمام البيهقي العلمية

إن مما لا شك فيه عند العقلاء بأن حسن البداية تثمر حسن النهاية وقدما كان يردد ويؤكد رجال السلف الصالح أن النهايات في البدايات، وكذا كان الحال مع الإمام أبي بكر البيهقي فقد هيا الله سبحانه له حسن النشأة، وسلامة المنطلق، وجودة الابتداء فألت أموره إلى هذه المكانة الرفيعة في مجال العلم والعمل، وهذه الشهرة الكريمة، والصيت الحسن، فكانت الخاتمة، وجمال العاقبة وثمره هذا التوفيق من الصغر ووفور الهمة والحماسة تجمع الفضائل العلمية والعملية من أربابها.

ومن منن الله تعالى وحسن رعايته للإمام البيهقي أن جعله من أبناء نيسابور فكان أول ما استقل في طلب العلم ونشط في تحصيله . بعد مرحلة الكتاتيب . وجد العلماء الأفاضل والمتخصصين المبدعين من حوله أينما توجه، يتلقى عنهم كما يحب ومتى يجب لوفرتهم وكثرتهم في بلده من دون عناء كبير .

ومن شواهد هذه الحال ما حكاها الخطيب أبي بكر علي بن ثابت البغدادي (ت463هـ) وهو من المعاصرين للإمام البيهقي . أنه لما عزم على الرحلة في طلب العلم، زار شيخه الإمام البرقاني واستفتاه في رحلته العلمية أيجعلها إلى مصر، أم إلى مدينة نيسابور فاختار له الإمام البرقاني مدينة نيسابور وقال له: "إنك إذا خرجت إلى مصر إنما تخرج إلى واحد، وإن فاتك ضاعت رحلتك، وإن خرجت إلى نيسابور ففيها جماعة، وإن فاتك واحد، أدركت من بقي". قال الخطيب البغدادي: "فخرجت إلى نيسابور"¹.

فمدينة نيسابور كانت وقتذاك مدينة العلم والبحث والثقافة وكانت تمتلئ بالأجلاء من العلماء والمتخصصين في العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية وغير ذلك.

وهناك ثمة عامل مهم ينبغي أن يضاف وهو الظروف التي ساهمت في تكوين شخصية الإمام البيهقي العلمية بالإضافة إلى ما أشرنا إليه من تكبيره في طلب العلم، وتوفر البيئة العلمية ذات المستوى العالي والكم الوفير، فإن امتياز شخصية الإمام البيهقي منذ نشأته بالحماسة الصادقة، والرغبة الجارحة في طلب العلم وتبعه، وما وهبه الله سبحانه وتعالى من الاستعدادات النفسية والعقلية كل هذه الظروف تضافرت لتخرج للأمة هذا النموذج من الأئمة الأعلام والعلماء الأفاضل الكرام.

وقد تمكن . رحمه الله . بهذا التكبير وهذه الحماسة، وهذا الجو المهيأ أن يتخرج في وقت مبكر على يد كبار أئمة العصر وحفاظه، وأن يدرك العوالي من أسانيدهم، ويسمع ويتحمل من المرويات هذا الكم الهائل الغزير الذي أبانت عنه تصانيفه الكثيرة وقد تحدث الإمام الصفدي²، والسبكي³ عن وفرة شيوخه، وكذا الدكتور نجم فإنه قام بحصر شيوخه بصورة جميلة تقريبية وليس على سبيل الحصر والاستيعاب، فبلغوا عنده (230) شيخاً، كلهم قد لقيهم، وسمع منهم، وأخذ عنهم، واستفاد بهم⁴.

1 . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص275، وتذكرة الحفاظ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، حيدرآباد، الهند، سنة1374هـ، ج3، ص1147.

السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص30.

2 . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص354.

3 . السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص3.

4 . د. نجم خلف، الإمام البيهقي شيخ الفقه والحديث، ص77.76.

ويمكن التحدث عن أعيان شيوخ الإمام البيهقي ممن تأثر بهم، وكون مروياتهم وتوجيهاتهم شخصيته العلمية، فمكّن الحديث عنهم في إطار الفنون والتخصصات العلمية التي تميزت مروياتهم وشخصياتهم بها، وذلك على سبيل الإيجاز والاختصار.

أقوال الأئمة في توثيقه، وبيان مكانته العلمية:

قد أمضى الإمام البيهقي قرابة ثلاثين سنة يطوف بالبلدان، ليحصل السماع، والظفر بالأسانيد العالية والوثيقة من كبار الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين، فساهمت هذه الرحلات المتنوعة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً إلى مراكز العلم ومحطاته ولقيا هؤلاء الكبار في العلم والعمل والتقوى في تكوين هذا الإمام تكويناً محكماً متوازناً عالي القدر في السعة والإحاطة، والعمق، وغور الفهم، إذ تحصل لدى الإمام البيهقي إثر هذا التحصيل الدائب الطويل وفور العلم، وحسن الفقه وملكة النقد والتمييز، فلقد أحالته هذه الرحلات فور فراغه منها إماماً مقتدرًا، وعالماً موسوعياً، ومحدثاً جامعاً، وفقهياً عارفاً، وناقداً متبصراً، يميز بين الروايات ويفحص قوتها، ويعرف مراتبها.

وما أن انتهى الإمام البيهقي من هذا التطواف العلمي، وهذا التحصيل الواسع حتى عاد إلى مدينة (بيهق) متفرغاً للنظر فيما جمع، يراجع ويدقق ويمحص ويحقق ثم أقبل على التأليف والتصنيف ثم شاع صيته، وذاعت شهرته، وأصبح إماماً لطلبة العلم يرحلون إليه، ويقبلون عليه، وتبوأ مكانة مرموقة بين أهل العلم وأربابه في مجال الحديث وعلومه والفقه وأصوله، وفي الأخلاق والآداب والزهد والورع.

وقد منّ الله عليه بأن ينتهي من وضع كتابه الحافل الكبير (السنن الكبرى) سنة (432هـ) كما وضع مصنفات أخرى في علم الحديث وعلمه، ووجوه الجمع بين الأحاديث وفقهها⁵، وفي هذه الفترة من حياته وقع على جزء من كتاب (الحيط) للإمام أبي محمد الجويني (ت438هـ) الذي أراد فيه ألا يتقيد بالمذهب الشافعي ويتبع فيه الأحاديث النبوية، إلا أن الإمام البيهقي وجد له فيه أوهاما وأخطاءً حديثية كثيرة، فأرسل إليه رسالة نقدية بليغة ينبهه إلى أوهامه وزلله في اعتماد الأحاديث الضعيفة، وترك الصحيحة فما كان من الإمام الجويني إلا أن تأثر برسالة البيهقي تأثراً كبيراً، وتوقف عن تأليف الكتاب الذي ألف منه ثلاثة أجزاء وقتها، وتحدث بين العلماء عن رسالة الإمام البيهقي وشكر له سعيه فيها، وقال: "هذه بركة العلم" وأكثر له من الدعاء.⁶

⁵. انظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص167، تذكّرة الحفاظ، ج3، ص1133.

⁶. انظر، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص77.

وهذا المثال ذو دلالة معبرة عما وصلت إليه مكانة الإمام البيهقي بين أعلام عصره من أمثال شيخه أبي محمد الجويني. وفيها دلالة عن حسن براعته وعمق صناعته في فن الحديث النبوي الشريف، وقد نصح الأئمة من المحدثين الإمام البيهقي بالانتقال إلى مدينة نيسابور ليعظم انتفاع الناس منه الخاصة والعامة بكتبه ومجالسه وعلمه، فأجابهم إلى ذلك، فأثابها سنة (441هـ) وعقد مجالس السماع هناك، وكان مما أسمعهم كتابه الكبير "معرفة السنن والآثار" وقد حضر مجالسه حتى الأئمة والعلماء.⁷

وهكذا غدا الإمام البيهقي في علم الحديث النبوي إمام عصره، وفريد وقته، قال ابن عساكر في وصفه: "كان محدث زمانه وشيخ السنة في وقته"⁸.

ووصفه الإمام عبد الغافر الفارسي المحدث – بالإمامة في الحفظ والاتقان – فقال: "واحد زمانه في الحفظ وفرد أقرانه في الاتقان والضبط"⁹.

وهذا في ظني أعلى أنواع الوصف وأجله لأنه جمع بين سعة العلم، وقوة الضبط، وحسن الاتقان، الذي يمكن صاحبه بأن يكون ناقداً بصيراً، ومحصناً قديراً.

وكما أثنى الأئمة على مكانته العلمية، فقد أثنوا على زهده وتقواه وورعه وأنه كان على سيرة العلماء والربانيين في الزهد والتقلل من الدنيا والقنوع باليسير¹⁰، وأنه كان كثير العبادة والورع¹¹، قانتاً لله تعالى¹²، وقد أثنى الأئمة على المؤلفات التي صنفها الإمام البيهقي في مجال الحديث وعلومه وعلمه وفقهه وآدابه ثناءً عطراً تحدثوا عن جودتها وكثرتها. قال ابن الجوزي: "وله التصانيف الكثيرة الحسنة"¹³ وقال عبد الغافر الفارسي: "وتواليه تقارب ألف جزء مما لم يسبقه إليه أحد"¹⁴ أما عن إمامته وبراعته في مجال الفقه وعلومه فقد قال عنه الإمام الجويني: "مامن فقيه شافعي إلا وللشافعي

7. انظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص167.

8. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج2، ص395.

9. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص167.

10. انظر، ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص266. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص168.

11. انظر، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص94.

12. انظر، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص3.

13. ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص242.

14. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص167. السيوطي، طبقات الحفاظ، ص434. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص354.

عليه منة إلا أبا بكر البيهقي فإن المنة له على الشافعي".¹⁵ قال الإمام الذهبي تعقيبا وتفصيلاً لمقالة الإمام الجويني الآنفة الذكر: "أصاب أبو المعالي هكذا هو، ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف¹⁶، والمعرفة بالاختلاف تستلزم صناعة نقدية عالية تمنح صاحبها ملكة في التمييز والتحصيص في الروايات ومعرفة مراتبها ودرجاتها وكذلك كان الإمام البيهقي رحمه الله فإنه أحسن الجمع، ثم أحسن الفهم، ثم أحسن العمل، ثم أحسن التصنيف.

ثانياً: بيان مكانته العلمية:

تخرج عدد كبير من طلبة العلم في الحديث وعلومه على الإمام البيهقي ولازموه وانتفعوا به وهذا عرض مختصر لحملة من هؤلاء الطلبة الذي تلقوا عن البيهقي علومه وساهموا في رواية كتبه:

1— الإمام عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن، أبو المظفر القشيري النيسابوري،¹⁷ لقي البيهقي في صغره فهو من مواليد (445هـ) وقد استفاد من صحبته كثيراً، وقد مد الله سبحانه في عمره فكان من الشيوخ المسندين الكبار، اشتغل بالعلم والعبادة، له كتاب الفوائد¹⁸ في عشرة أجزاء خرج له أخوه.

2. الحسين بن أحمد بن علي، أبو عبد الله الخسروجدي الشافعي،¹⁹ لازم الإمام البيهقي وسمع منه كتاب السنن والآثار وقد كان كثير السماع حسن السيرة، تتلمذ عليه السمعاني وتلقى عنه عدة أجزاء، وكان من الفقهاء المسندين، وُلي قضاء بيهق،²⁰ وتوفي سنة 536هـ.

¹⁵. ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص 266. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 18، ص 168. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 76.

¹⁶. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 18، ص 169.

¹⁷. مصادر ترجمته، السمعاني، الأنساب، ج 10، ص 156. ابن الجوزي، المنتظم، ج 10، ص 75. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 19، ص 623.

¹⁸. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 19، ص 624.

¹⁹. مصادر ترجمته، السمعاني، التحبير، ج 1، ص 225.222. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 538؛ ج 2، ص 370.

²⁰. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 20، ص 61.

3— إسماعيل بن أحمد بن حسين، أبو علي الخسروجردي، ولد الإمام البيهقي لازم أباه وأفاد منه علما واسعا²¹، وتخرج به، وقد كان من أفاضل العلماء حسن السيرة جميل الوعظ كثير المحفوظ، له مكانة مرموقة في المذهب الشافعي، وهو من الأئمة الفقهاء، وشيخ القضاة في زمنه.²²

4— محمد بن الفضل بن أحمد، أبو عبد الله الفراوي، فقيه الحرم، ومسند خراسان، سمع البيهقي وصاحبه²³، وروى عنه جملة من كتبه مثل كتاب "دلائل النبوة"، و"الدعوات الكبير"، و"كتاب البعث"، و"الأسماء والصفات".

عقدت له المجالس ببغداد وسائر البلاد، أظهر العلم في الحرمين الشريفين، وحدث بالصحیحين، وكتاب غريب الحديث للخطابي، وكان على سيرة السلف الصالح.²⁴

5— الإمام عبيد الله بن محمد بن أحمد البيهقي،²⁵ هو حفيد الإمام البيهقي، سمع كتب جده وهو في سن مبكرة. وقد أصبح الإمام أبو الحسن عبيد الله بن محمد من الشيوخ المسندين فيما بعد، سمع منه أبو الفتح المنذائي كتاب جده "الأسماء والصفات".²⁶

6. الإمام عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن، أبو نصر القشيري النيسابوري.²⁷ لقي هذا الإمام عناية وافرة منذ صغره من قبل والده فقد أسمع وأقرأه حتى أتقن اللغة العربية، وعلمه النظم والتأويل، وكان يعتبر من العلماء المفسرين النحويين المتكلمين²⁸ سمع من الإمام البيهقي واستفاد منه.

²¹. ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص176.175. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص499.

²². السمعاني، التخبير في المعجم الكبير، ج1، ص83. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص314.313.

²³ - مصادر ترجمته، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص25. الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص52. ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين، الوفيات، بتحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة 1978، بدون ط، ص276.

²⁴. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص615-616.

²⁵ - مصادر ترجمته، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1390هـ - 1971م، مصور عن الطبعة الأولى ج4، ص116. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص503-504.

²⁶. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص503.

²⁷ - مصادر ترجمته، ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص220-221. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص424-426. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج7، ص159-166.

²⁸. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص424.

7— عبد الجبار بن عبد الوهاب بن عبد الله أبو الحسن الدهان،²⁹ استفاد من الإمام البيهقي ولازمه، وقد سمع منه الكثير حتى تجمعت تصانيفه لديه، وحدث بكتاب السنن الكبرى، وكان الدهان شيخاً سديد الطريقة، من بيت ثروة ومروءة.³⁰ قال السمعاني: "شيخ ثقة صدوق، من أهل الخير والأمانة".³¹

8— الإمام عبد الجبار بن محمد بن أحمد أبو محمد الخواري البيهقي،³² بدأ الإمام أبو محمد طلبه للعلم في سن مبكرة، فقد لازم الإمام البيهقي وأكثر السماع منه. فقد لقيه في بداية طلبه للحديث وكان سنه وقتذاك ثمان سنين وذلك سنة 453هـ، وقد كان الإمام الخوارزمي من الأئمة المفتين، متواضعاً خيراً ومن الثقات المعمرين، وكان إمام جامع نيسابور.³³

9. الإمام أبو المعالي محمد بن إسماعيل بن محمد الفارسي النيسابوري،³⁴ بدأ طلب العلم في سن مبكرة، فقد سمع من الإمام البيهقي وهو دون العاشرة من عمره فتلقى عنه "السنن الكبرى"، وكتاب "المدخل إلى السنن الكبرى".³⁵ كان عالماً جليلاً ثقة مسنداً، روى عنه ابن عساكر، وأبي سعد السمعي، توفي سنة 539هـ.³⁶

10— الإمام أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن البحيري النيسابوري،³⁷ ولد سنة 453هـ وبهذا يكون قد أدرك الإمام البيهقي وسنه خمس سنين وسمع منه قبل وفاته بقليل.³⁸

2. آثاره العلمية :

لقد أبانت مصنفات البيهقي التي اتسمت بالوفرة والجودة قوة همته في طلب العلم وذلك بالتطواف على المشايخ بنفسه ولقاء جهابذة العلماء والمحدثين وذلك علنا رغم من حداثة سنه.

²⁹. مصادر ترجمته، المصدر السابق، ج20، ص46. السمعاني، التحبير، ج1، ص430.

³⁰. د. نجم خلف، الإمام البيهقي شيخ الفقه والحديث، ص104.

³¹. السمعاني، التحبير، ج1، ص430.

³². مصادر ترجمته، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص394. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص71-72.

³³. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص71-72.

³⁴. مصادر ترجمته، المصدر السابق، ج20، ص93، العبر، ج4، ص109. السمعاني، التحبير، ج2، ص97.

³⁵. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص93.

³⁶. المصدر السابق، ج20، ص93.

³⁷. مصادر ترجمته، السمعاني، التحبير، ج1، ص394.

³⁸. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص156.

وقد أثنى عدد من العلماء والمحدثين على مصنفات البيهقي ووصفوها بالكثرة والحسن وغازاة الفوائد.

قال ابن الجوزي: "وله التصانيف الكثيرة الحسنة".³⁹

وقال الذهبي: "تصانيف البيهقي عظيمة القدر، غزيرة الفوائد، قلّ من جود تأليفه مثل الإمام أبي بكر البيهقي، فينبغي للعالم أن يعتني بها".⁴⁰

وقال عبد الغافر الفارسي: "وتواليه تقارب ألف جزء، مما لم يسبقه إليه أحد".⁴¹

وقال ابن كثير: "وجمع أشياء كثيرة نافعة لم يسبق إلى مثلها ولا يدرك فيها، منها كتاب السنن الكبير... إلى أن قال: " وغير ذلك من المصنفات الكبار الصغار التي لا تسامى ولا تدانى".⁴²

وامتازت مؤلفات البيهقي بأنها جمعت بين علم الحديث والفقهاء، وبيان علل الحديث ووجه الجمع بين الأحاديث".⁴³

وقد اطلع على تصانيف البيهقي جمهور عريض من الأئمة والعلماء ممن عاصروه وممن جاء بعده منهم، وانتفع المسلمون شرقا وغربا بمصنفاته وأشادوا بها، فكانوا يعززون إليها في تخاريجهم، ويقتبسون منها في أعمالهم العلمية، كما قام عدد من العلماء باختصار الكثير منها.⁴⁴

كان للإمام البيهقي منهجا متميزا في وضع كتبه، فقد كان يتحرى الدقة والتحقيق ويقوم على النقد والتمحيص، وقد قال ذلك بنفسه: "حين ابتدأت بتصنيف هذا الكتاب وفرغت من تهذيب أجزاء منه... أي أنه يهذب ما ينتجه من المصنفات".⁴⁵ وهذه العناية والتدقيق قد سبقتها مرحلة أولى لا تقل عنها وهي نقد المادة العلمية للكتاب وتمحيصها قبل اختيارها".⁴⁶

³⁹. ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص242.

⁴⁰. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص168.

⁴¹. المصدر السابق، ج18، ص167.

⁴². ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص94.

⁴³. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص167.

⁴⁴. د. نجم خلف، الإمام البيهقي شيخ الفقه والحديث، ص110-111.

⁴⁵. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص167.

⁴⁶. د. نجم خلف، الإمام البيهقي شيخ الفقه والحديث، ص112.

يقول البيهقي في بيان ذلك: "وعادتي في كتي المصنفة في الأصول والفروع الاقتصار من الأخبار على ما يصح منها دون ما لا يصح أو التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح".⁴⁷

التعريف بالسنن الكبرى

يعرّف المحدثون السنن بأنها: "الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان والطهارة، والصلاة والزكاة إلى آخرها".⁴⁸ وعلى هذا فكتب السنن تجمع أحاديث الأحكام وفق التبويب المذكور، وهي كثيرة من أشهرها: السنن الأربعة، وسنن الدارمي، وسنن سعيد بن منصور، وسنن البيهقي.

أولاً: موضوع السنن الكبرى

إن موضوع كتاب السنن الكبرى هو أحاديث الأحكام مرتبة ترتيباً موضوعياً على الأبواب الفقهية، وهذا هو أصل موضوع السنن.

وقد رتب الحافظ البيهقي كتابه "السنن الكبرى" وفق نظام الكتاب والباب، واعتنى بالأحكام النقدية فألزم نفسه -في الغالب الأعم من كتابه- بالحكم على كل نص أخرجه في الكتاب بما يناسبه من الحكم اللائق به مع العناية بجمع شواهد، ومتابعاته، وغيره، وعلمه، كما تعرض لبيان ناسخه من منسوحه، وبيان مختلفه، بالإضافة إلى التبويبات الفقهية،

والاستنباطات الحكمية بالنص أو الإشارة؛ لذلك تعتبر السنن الكبرى "موسوعة السنن" وذلك "لوفرة ما اشتملت عليه من المتون والأسانيد والشواهد والطرق المتشعبة بكل درجاتها، فهي أوعب كتاب وضع وفق نظام "السنن" وجاءت معظم نصوصها مقرونة بدرجاتها النقدية، مع الفوائد الفقهية المستنبطة من الأحاديث والآثار، وبيان الغريب من الألفاظ والعلل، والجمع بين المختلف من الحديث وغير ذلك من الفوائد".⁴⁹

⁴⁷. البيهقي، دلائل النبوة، ج1، ص47.

⁴⁸. المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى، تحقيق عبد الرحمن عثمان، مطبعة الاعتماد، القاهرة، سنة 1386هـ/1976م، بدون ط، ج1، ص64 المقدمة.

⁴⁹. د. نجم خلف، الصناعة الحديثية في السنن الكبرى، ص101.

المصطلحات الخاصة في السنن الكبرى

من خلال دراستي لكتاب السنن الكبرى وجدت الإمام البيهقي يورد جملة من المصطلحات الخاصة به، وهذا الاستعمال لهذه العبارات الفنية منهج عام له في جميع كتبه. كما تبين لي. وليس خاصا بكتاب السنن الكبرى.

فمن ذلك استعماله للأسماء والكنى والألقاب التي يندرج تحتها جملة من المحدثين، وهو إنما يريد إماما بعينه، يعرفه الطالب الفطن النحيب بالقرينة، وهو يقول مثلا: "قال أبو أحمد" أو "روى أبو أحمد" ويعني بذلك الإمام عبد الله بن عدي الجرجاني المشهور "بابن عدي".

ويقول: "قال أبو بكر ابن إسحاق"، ويقصد به الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة.

ويقول: "قال أبو عبد الله"، "سمعت أبا عبد الله"، "روي عن أبي عبد الله الحافظ" ويقصد بذلك الإمام الحاكم النيسابوري.

كما أنه يقول: "قال علي"، "روي عن علي بن عمر"، ويريد بذلك الإمام الدارقطني علي بن عمر.

وكذلك وجدت الراوي للكتاب يستعمل بعض المصطلحات الخاصة، أثبتها الناشر في الكتاب بعد طبعه كما هي⁵⁰ كما يقول: "قال الشيخ...⁵¹، أو "قال أبو بكر...⁵² ويعني بكل ذلك الحافظ البيهقي مؤلف الكتاب وهو أحمد بن الحسين بن أبي بكر البيهقي، وإنما صنع ذلك بغرض إبراز عبارات المؤلف وتمييزها.

زوائد السنن الكبرى ومختصراتها

اعتنى علماء الحديث بالزوائد على الكتب الستة، وقاموا باستقراء المتون الحديثية من الكتب الأمهات وغيرها بحثا عن هذه الزوائد لما تشكله من إضافات قيمة إلى هذه المصادر الحديثية.

⁵⁰. انظر، البيهقي، السنن الكبرى، ج9، ص128.

⁵¹. انظر، المصدر السابق، ج10، ص54.

⁵². انظر، المصدر السابق، ج1، ص314.

وقد انبرى لهذا العلم الفذ الإمام أحمد بن أبي بكر البوصيري الحافظ (ت 840هـ)⁵³، فدرس كتاب السنن الكبرى بطوله واستخرج منه بعد طول تفحص ما اشتمل عليه من الزوائد والفوائد على الكتب الستة الأصول وسمى عمله هذا "فوائد المنتقى لزوائد البيهقي" وهذا الكتاب منه نسخة خطية من عدة أجزاء محفوظة في دار الكتب المصرية.⁵⁴

وقد اعتنى الإمام ابن العناني، محمد بن محمود الجزائري (ت 1267هـ) بكتاب البوصيري هذا، وقام باختصاره، وأسماه "المقتطف من فوائد المنتقى لزوائد البيهقي"، ومنه نسخة بخط المؤلف محفوظة في دار الكتب المصرية في 96 ورقة برقم (20334ب).⁵⁵

مختصرات السنن الكبرى

درج العلماء على اختصار أو تلخيص النافع القيم من كتب العلم، وكان كتاب السنن الكبرى موضع عناية بالغة من المحدثين على مر العصور لتقريبه للناس وقد قام باختصاره جملة من الأئمة، منهم الإمام البيهقي نفسه، وكذلك:

1- الإمام ابن عبد الحق الدمشقي إبراهيم بن علي المحدث الفقيه الحنفي (ت 744هـ)⁵⁶، وهو مختصر واسع في خمس مجلدات.⁵⁷

2- الإمام أبو عبد الله الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي (ت 748هـ) وهو أجل مختصر لهذا الكتاب، بذل فيه الإمام الذهبي جهداً وافراً اختصر فيه الأسانيد، وأبقى مخرج الحديث الحديث ليعرف طريقه، وأبقى المتن على حالها مع حذف بعض المكررات، كما حكم على كثير من الأسانيد حسب اجتهاده، وكتابه هذا محفوظ منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية، ونسخة أخرى في مكتبة مدينة بطو بقبوسراي باستانبول.⁵⁸

⁵³ - وله أيضاً زوائد ابن ماجة على الكتب الخمسة مع الكلام على أسانيدها وزوائد الترغيب والترهيب، وزوائد المسانيد العشرة، توفي بالقاهرة. انظر ترجمته في، السنخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، سنة 1355هـ، ج 1، ص 251. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، سنة 1967م، ج 1، ص 206.

⁵⁴ - انظر تفاصيل هذه النسخ ووصفها عند، د. نجم خلف، الصناعة الحديثية، ص 117:118.

⁵⁵ - انظر، فؤاد السيد، فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب، القاهرة، سنة 1956م، القسم الثاني، ص 94.

⁵⁶ - انظر ترجمته في، القرشي، الجواهر المضية، ج 1، ص 42. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 4، ص 212.

⁵⁷ - انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 2، ص 1007. الزركلي، خير الدين، الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، سنة 1980، ج 1، ص 51.

⁵⁸ - انظر تفاصيل هذه النسخ الخطية وفوائد أخرى خاصة بالكتاب عند، د. نجم خلف، الصناعة الحديثية، ص 115:116.

وقد طبع الكتاب بالقاهرة محققا فأخرجوا منه أربعة أجزاء ثم توقفوا.

3. الإمام عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الصوفي (ت 974هـ).⁵⁹

4. الإمام الشنقيطي محمد بن أحمد بالداه الموريتاني (ت 1983م تقريبا) والكتاب يقع في خمس مجلدات مطبوعة، فإنه طبع بدار الفكر في بيروت سنة 1978م، وعمله متوسط، فإن عمل الذهبي أجود منه وأتقن وقد سماه "فتح الإله في اختصار السنن الكبرى".

منزلة السنن الكبرى عند المحدثين

من مظاهر اهتمام المحدثين وطلبة العلم بكتاب السنن الكبرى هذا الحرص البالغ على سماعه، وإسماعه، والحرص على اختصاره، وبيان زوائده على الكتب الستة، وقد بكر العلماء في طبعه، وتيسير نسخه للناس في وقت مبكر بما يزيد على سبعين سنة مضت، وكانت الطباعة في ذلك الوقت فيها من العسر والصعوبة والتعقيد خصوصا في إخراج مثل هذه الموسوعة الهائلة التي بلغت عشر مجلدات ضخام.

ويتحدث البيهقي عن عناية الأئمة بكتابه في حياته فيقول: "ووقع الكتاب الثاني وهو كتاب السنن إلى الشيخ الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني - رضي الله عنه - بعدما أنفق على تحصيله شيئا كثيرا، فارتضاه وشكر سعيي فيه، فالحمد لله على هذه النعمة حمدا يوازيها، وعلى سائر نعمته حمدا يكافئها".⁶⁰

وأبو محمد الجويني هذا من كبار فقهاء الشافعية في عصره، ومن كبار الأصوليين والمفسرين، وكان أدبيا نحويا، وهو والد إمام الحرمين الجويني، وقد توفي سنة (448هـ).⁶¹

ثم توافر العلماء في الشاء والمديح لكتاب السنن، فاعتبره الحافظ ابن الصلاح (ت 643هـ) سادس الكتب الستة في القمية العلمية والمكانة الحديثية، وجعله بديلا لسنن ابن ماجه، فإنه كان يقول: "وليقدم - أي طالب العلم - العناية

⁵⁹ — انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص1007. وانظر ترجمة الإمام الشعراني، عند ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج8،

ص372.

⁶⁰ . البيهقي، معرفة السنن والآثار، ج1، ص143.

⁶¹ . انظر ترجمته عند، الذهبي، العبر، ج3، ص188. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص55.

بالصحيحين، ثم سنن أبي داود، وسنن النسائي، وكتاب الترمذي ضبطا لمشكلها وفهما لخفي معانيها، ولا يخدعن عن كتاب السنن الكبير للبيهقي فإننا لا نعلم مثله في بابه".⁶²

وهذا ثناء عالي المكانة، جليل الرتبة من هذا العالم المحدث الفذ وحث لطلبة العلم على الإقبال عليه، والعناية به بحيث يجعله فردا بين أقرانه من المصنفات الحديثية التي على شاكلته "فإننا لا نعلم مثله في بابه".

والحافظ الذهبي (ت 748هـ) شاطر ابن الصلاح فيما ذهب إليه فيقول: "تصانيف البيهقي عظيمة القدر، غزيرة الفوائد، قلّ من جود توافقه مثل الإمام أبي بكر، فينبغي للعالم أن يعتني بهؤلاء سيما سننه الكبير، وقد قدم قبل موته بسنة أو أكثر إلى نيسابور وتكاثر عليه الطلبة، وسمعوا منه كتبه، وجلبت إلى العراق والشام والنواحي، واعتنى بها الحافظ أبو القاسم الدمشقي - يعني ابن عساكر - وسمعها من أصحاب البيهقي، ونقلها إلى دمشق هو وأبو الحسن المرادي"،⁶³ وهو ثناء من هذا الحافظ الناقد الكبير لا يحتاج إلى مزيد بيان أو تعليق، وقال كذلك في موضع آخر: "عمل — أي البيهقي - السنن الكبير في عشر مجلدات ليس لأحد مثله".⁶⁴

ونصح الإمام الذهبي العلماء بالعناية بمصنفات البيهقي وبالسنن خصوصا، ثم نصح المحدثين كذلك بذلك فقال: "إنما شأن المحدث اليوم الاعتناء بالدواوين الستة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي، وضبط متونها وأسانيدها، ثم لا ينتفع بذلك حتى يتقي ربه، ويدين بالحديث".⁶⁵

ولما تحدث الإمام الحافظ السخاوي (ت 902هـ) عن موضوع السنن ومن صنف فيه قال: "والمقدم منها كتاب أبي داود لكثرة ما اشتمل عليه من أحاديث الأحكام، ثم كتاب أبي عبد الرحمن النسائي لتتمرن في كيفية المشي في العلل، ثم كتاب أبي عيسى الترمذي لاعتنائه بالإشارة لما في الباب من الأحاديث، وبيانه لحكم ما يورد من صحة وحسن وغيرهما، ويليه كتاب السنن للحافظ الفقيه أبي بكر البيهقي فلا تعدّ عنه لاستيعابه لأكثر أحاديث الأحكام، بل لا

⁶². ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 251.

⁶³. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 18، ص 168.

⁶⁴. المصدر السابق، ج 18، ص 165.166.

⁶⁵. المصدر السابق، ج 13، ص 323.

نعلم — كما قال ابن الصلاح — في بابه مثله ولذا كان حقه التقديم على سائر كتب السنن، ولقد قدمت تلك لتقدم مصنفها في الوفاة، ومزيد جلالتهم".⁶⁶

والعلماء قد أطبقوا في كل عصر وجيل على الثناء على هذا الكتاب،⁶⁷ وما ذكرناه كفاية، وقد امتلأت الكتب الحديثية من كتب التخارج، والأثبات والمعاجم والرحلات بذكر هذا الكتاب وكذا كتب الفقه في الرجوع إليه، والاستناد إليه فيما يوردون من أحاديث وآثار مقتبسة منه.

الانتقادات الموجهة إلى السنن الكبرى

على الرغم من جلالة كتاب السنن الكبرى وما حظي به من مكانة علمية مرموقة بين أهل الصناعة فإنه لم يسلم من النقد والمؤاخذة فقد تصدى العلامة علاء الدين بن التركماني (ت750هـ) لكتاب السنن الكبرى، وسجل مجموعة انتقادات علمية عليه وجعلها في كتاب أسماه "الجوهر النقي في الرد على البيهقي" وقال في أوله: "فهذه الفوائد علقها على السنن الكبرى للحافظ أبي بكر البيهقي رحمه الله تعالى أكثرها اعتراضات عليه، ومناقشات له، ومباحثات معه".⁶⁸

وقد طبع هذه العمل في حاشية السنن الكبرى، وهي الطبعة المعروفة المشتهرة من كتاب السنن الكبرى.

أما ما يتعلق بدقة اعتراضات ومناقشات ومباحثات الإمام ابن التركماني على كتاب السنن الكبرى فقد تفحص جملة كبيرة منها الدكتور نجم خلف، ثم تبين له الآتي، يقول: "أما تقييماً لكتاب ابن التركماني ومستوى انتقاداته لكتاب "السنن الكبرى" فقد رأيتها تشتمل على اعتراضات متفاوتة من حيث قيمتها العلمية.

فمنها ما هو قوي وصائب، ويبدل في الوقت نفسه على عمق الإمام ابن التركماني وتيقظه. ومنها ما هو ضعيف مردود، الحق فيه مع الإمام البيهقي، وليس مع المعترض. ومنها مسائل كثيرة غريبة ليست محل نقد ومؤاخذة إلا أنها تصدر عن الإمام ابن التركماني. رحمه الله. كرجبة ملححة في النقد فحسب، وذلك لأن ابن التركماني من أئمة فقهاء

⁶⁶. السخاوي، فتح المعيث شرح ألفية الحديث، ج2، ص377376.

⁶⁷. انظر، للتوسع د. نجم خلف، الصناعة الحديثية في السنن الكبرى، ص126.125.

⁶⁸ — ابن التركماني، علاء الدين بن علي بن عثمان، الجوهر النقي في الرد على البيهقي، مطبوع في هامش السنن الكبرى، دار الفكر، دمشق،

المذهب الحنفي، وكذا الإمام قطلوبغا، والبيهقي إمام من كبار أئمة الشافعية، وقد انتصر لمسائل عديدة صحت فيها الأخبار، وكثير من هذه المسائل قد قالت الحنفية بخلافها، فكان تركيز الإمام ابن الترمذي عليها واضحا في انتقاداته. والذي يدل على ما قلناه - من أنه قد ينتقد أموراً لا وجود لها - إن البيهقي سمي سبعة عشر نفساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يرفعون أيديهم عند الركوع ثم سمي عشرة من التابعين الكبار من أهل مكة والحجاز وأهل العراق، وأهل الشام، والبصرة، واليمن، ثم قال: "وقد روينا عن أبي قلابة وأبي الزبير، ثم مالك بن أنس..." قال ابن الترمذي منتقداً له: "العادة إذا أطلق ابن الزبير فالمراد به عبد الله وقد ذكره البيهقي فيما تقدم فهذا تكرار بلا فائدة".

وهو انتقاد غريب من ابن الترمذي لا يدل على الثبوت والتروي وإنما يوحي بالتعجل في إلقاء الملامة، وتوجيه النقد، فإن الذي ذكره البيهقي هو (أبو الزبير) لا (ابن الزبير) وهناك فرق كبير بين الاثنين يعلمه كل من له أدنى دراية بعلم الرجال، فابن الزبير صحابي ابن صحابي، وأبو الزبير هو محمد بن مسلم بن تدرس المكي (ت126هـ)، ثم إن البيهقي كان في معرض الحديث عن طبقة صغار التابعين وتابعيهم لأنه استوفى ذكر الصحابة، وطبقة كبار التابعين.

ومن ذلك انتقاده على الإمام البيهقي في توثيق محمد بن سعيد الطائفي، فقال ابن الترمذي: "والطائفي مجهول، كذا في الميزان، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يحل الاحتجاج به". مع أن الإمام البيهقي ساق الحديث من طريق أبي داود السجستاني في (سننه) ويترب على هذا ببساطة أن الطائفي هذا من رجال أبي داود، لكن تعجل الإمام ابن الترمذي في توجيه النقد قبل تمحيصه جعله لا يميز بين محمد بن سعيد الطائفي أبي سعيد المؤذن الصدوق الموثق، وبين محمد بن سعيد الطائفي المتأخر عن طبقة الذي قبله، والذي لم يرو عنه أحد من أصحاب الكتب الستة.

وهذا المواطن بالخصوص يعد من المواطن المهمة في السنن، ويعتبر من مزايا عمل البيهقي في "السنن الكبرى" وليس من مثالبه...⁶⁹ إلى آخر كلامه حفظه الله.

69. د. نجم خلف، الصناعة الحديثية، ص120.122.

منهج السنن الكبرى

من معالم المنهجية الواضحة عند الإمام البيهقي في كتابه السنن الكبرى أنه وضع كتابا مستقلا أسماه "المدخل إلى كتاب السنن الكبرى" ضمنه القواعد والضوابط التي على أساسها صنف كتابه السنن الكبرى، فكان هذه الكتاب "المدخل" بمثابة المنهج التفصيلي لكتاب السنن الكبرى فقد تعرض فيه لمقاصده وأهدافه من وراء تصنيف الكتاب، وبَيَّنَّ موازينه في التصحيح والتضعيف، والقبول والرد، وهو عمل في غاية النفاسة، وهو من الأساليب المنهجية المبكرة التي اعتمدها المحدثون في تلك العصور الأولى وسبقه في هذا شيخه الإمام الحاكم النيسابوري. وقد طبع كتاب "المدخل إلى السنن الكبرى" محققا⁷⁰، فأغنانا عن كثير من الغوص والخوض في استكشاف خطوط منهجيته ومعالمها في السنن الكبرى ويمكن أن نلمح إلى عنصري المنهجية عند البيهقي في السنن الكبرى الظاهرة والباطنة إلماحة سريعة يتحصل بها المقصود من غير إسهاب ولا تكرار.

1. المنهجية التنظيمية

- أ. استعمال الإسناد في إخراج جميع نصوص كتابه وله في ذلك أصول وقواعد وفنون غاية في الدقة وحسن البراعة.
- ب — نظم كتابه وفق الأبواب الفقهية، أي أنه وزع مادته العلمية الضخمة حسب منهج موضوعات المتون، كما اعتنى ببيان وكشف اختلافات المتون، ووضح اختلافاتها اللفظية، وتعرض لعللها، غريبها واضطرابها وتصحيفاتها، ومعانيها.
- ج — حرص على استيعاب أحاديث الأحكام من خلال التوسع في إخراج النصوص، واستعمال الإحالات والتنبيهات تارة أخرى⁷¹.
- د - جعل منهجه قائما على الاستدلال الفقهي فهذا يمثل روح الكتاب، والمقصد الأعظم من تصنيفه، ولهذا الغرض قد يكرر الحديث للوصول إلى فقه معين.
- هـ. استعمل الآيات القرآنية للغرض الفقهي ولتعميق الاستنباط.
- و. حشد المراسيل والموقوفات والمقطوعات من الأحاديث للغرض نفسه.

⁷⁰. وقد قام بتحقيقه الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي، وطبع بدار الخلفاء للكتاب الإسلامي، بالكويت، سنة 1985م.

⁷¹. انظر، السخاوي، فتح المغيث، ج2، ص376-377. والبيهقي، السنن الكبرى، ج3، ص28، ج6، ص327309.

ز — حرص على الاختصار غير المخل، فكان يذكر أسماء شيوخه الذين يروي الأحاديث من طريقهم على سبيل الاختصار فيكتفي بالكنية واللقب غالباً فحسب.⁷²

2. المنهجية النقدية

أ — حرص على إخراج الصحيح من الأحاديث دون غيرها من الضعيف، ولم يتعرض لغيره إلا لعله نافعة من بيان أو تنبيه، أو حين يحتاج الأمر إلى متابعات وشواهد ليعتضد بها، وهذا يدخل في منهجية استعمال الأبواب المعللة⁷³ الذي مشى عليه الإمام الترمذي في جامعه من قبل.

ب . نظف كتابه من الأحاديث الواهية والموضوعة.⁷⁴

ج — حرص على تخريج جميع نصوص كتابه مع تسجيل جملة من الفوائد الحديثية على هامش عمله الفقهي في الكتاب.⁷⁵

د . اعتمد منهج النقد في جمع مادته العلمية بما في ذلك مراجعه وموارده مع الورع والتثبت والتوثيق.

هـ . أدخل جملة من الوسائل العلمية في المنهجية النقدية فقد استعمل العقل، والتاريخ، والاقتباس.

و . التزم بالمنهج التربوي في جميع كتابه فكانت شخصيته الإيمانية الإصلاحية لا تنفك عن شخصيته العلمية.⁷⁶

ز . اعتمد الدليل في جميع منهجه النقدي.⁷⁷

خصائص السنن الكبرى

اشتملت السنن الكبرى على خصائص عالية ذات أثر بالغ في الفنون الحديثية من ذلك:

أ . التكامل المعرفي في نطاق أحاديث الأحكام، فهو أوعب كتاب في بابهِ ويستحق لقب "موسوعة السنن".⁷⁸

⁷² . انظر البيهقي، السنن الكبرى، ج2، ص279.

⁷³ . انظر البيهقي، السنن الكبرى، ج1، ص69، 46؛ ج2، ص223؛ ج7، ص322؛ ج9، ص289، ج10، ص200.

⁷⁴ . المصدر السابق، ج6، ص281؛ ج3، ص176؛ ج2، ص190.

⁷⁵ . المصدر السابق، ج2، ص39، 54، 63، 106، 320، 481.

⁷⁶ . المصدر السابق، ج3، ص98، ج5، ص334.

⁷⁷ . المصدر السابق، ج2، ص212- ج3، ص291.

⁷⁸ . انظر، السخاوي، فتح المغيث، ج2، ص376-377.

ب — الإضافة المعرفية: فهو بالإضافة إلى جمعه الواسع الفريد الذي "سد الباب على من بعده"⁷⁹ فيه إلا أنه لم يكتف بالجمع بل أضاف إليه إضافات عالية الأهمية من الناحية الكمية ومن الناحية النقدية.

ج . اشتماله على الشواهد والمتابعات والاعتبارات، وقد أطال نفسه في ذلك، واعتنى بهذا الباب عناية فائقة.⁸⁰

د . احتواؤه على فقه الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وذلك لوفرة ما أخرج من الموقوفات والمقطوعات.

هـ . اشتمال كتابه على أكبر حشد للأحاديث المرسله بشتى أنواعها مصحوبة بجملة من الفوائد الحديثة النقدية

والفقهية حتى يمكن الحكم على هذه المراسيل في

هذا الكتاب بأنها واحة المراسيل، أو ديوان المراسيل لسعتها ووفرتها.

و — يعتبر كتاب السنن الكبرى مستخرجا على الكتب الستة لما اختص به من كثرة الأسانيد وتعددتها، واختلاف

الألفاظ وتنوعها وإضافاتها.

وقد خص البيهقي كتابه السنن الكبرى بكل هذه الخصاص والمزايا مما جعل الإمام الذهبي يقول: "قلّ من جود تأليفه

مثل الإمام أبي بكر البيهقي فينبغي للعالم أن يعتني بهؤلاء، سيما سننه الكبير".⁸¹

وقال الإمام السبكي: "أما السنن الكبير فما صنف في علم الحديث مثله تهذبا وترتيا وجودة".⁸²

خاتمة البحث:

تبين لنا من خلال هذا البحث المتواضع طبيعة الحياة العلمية التي عاشها الإمام أبو بكر البيهقي منذ صغره واستمرت معه حتى لقي ربه، وجدناه متميزا في التلقي والإلقاء وفي الأخذ والعطاء، وفي التحمل والأداء، وفي التعلم والتعليم.

ومن السمات التي ميزت شخصيته العلمية ومنحته المكانة المرموقة بين أقرانه من المحدثين هذا النفس الواسع في تتبع الشيوخ وحسن اختيارهم والتكثير الواعي منهم، واصطناع التلاميذ واستقطاب نجباء الطلبة بصبر وكرم في الوقت والجهد مع التفنن في التفهيم والتعليم، وبراعة في نظم ما احتزنه من المواد الحديثة الواسعة فسطره مصنفاً حديثية وفقهية وزهدية وتربوية في كتب ومؤلفات شاعت وذاعت وتلقفها القاصي والداني، وانتفع منها جيله والأجيال التي تلتته حتى

⁷⁹ . د . العمري، أكرم ضياء الدين، التراث والمعاصرة، كتاب الأمة، قطر، 1405هـ، ص124.

⁸⁰ . البيهقي، السنن الكبرى، ج 2، ص150.

⁸¹ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص168.

⁸² . السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص9.

يومنا هذا، مع روح نقدية فاحصة تلقيا واختيارا، فكان يتخير الشيخ، وينقد المرويات، ويفحص الآثار، ويتحرى في الفتوى والاجتهاد، وكان هذا ديدنه في الأصول والفروع يقتصر على الصحيح الثابت فيختاره ويتبناه. وقد امتازت مؤلفاته بأنها جمعت بين علم الحديث، والفقه والأصول، والعقيدة الصحيحة، والزهد والأخلاق، والتربية والآداب حتى صار أحد أعلام أئمة الإسلام الكبار في عصره، وعلى مدار الأزمان.

كما تبين لنا من خلال تطوفنا في دراسة هذا الكتاب الفذ بأنه جمع المزايا في ثناياه؛ فهو كتاب التكامل المعرفي في أحاديث الأحكام، وغيرها من الإضافات المعرفية لما تميز به من الجمع الواسع الفريد، كما وجدناه خزينا للشواهد والمتابعات والاعتبارات. وقد احتوى على فقه الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وذلك لوفرة ما أخرجه من الموقوفات والمقطوعات، والمراسيل بشتى أنواعها مصحوبة بجملة من الفوائد الحديثية النقدية والفقهية حتى يمكن الحكم على هذه المراسيل في هذا الكتاب بأنها واحة المراسيل، أو ديوان المراسيل لسعتها ووفرتها.

كما وجدناه كالمستخرج على الكتب الستة لما اختص به من كثرة الأسانيد وتعددتها، واختلاف الألفاظ وتنوعها وإضافاتها.

وفي الختام: فقد تميز كتابه السنن الكبرى بكل هذه الخصائص والمزايا مما جعل الإمام الذهبي يقول: "قلّ من جود تأليفه مثل الإمام أبي بكر البيهقي فينبغي للعالم أن يعتني بهؤلاء، سيما سننه الكبير".⁸³

وكذا قال الإمام السبكي: "أما السنن الكبير فما صنف في علم الحديث مثله تهذبا وترتيا وجودة".⁸⁴

المصادر والمراجع

- ابن الأثير. علي بن محمد بن محمد. 1303هـ الكامل. ط1. 9 مجلدات. مصر.
- ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج1، ص203. السبكي، طبقات الشافعية-البغدادي، اسماعيل باشا بن محمد الباباني، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول، سنة 1960،
- البيهقي. أحمد بن الحسين. بدون تاريخ. السنن الكبرى. في ذيله الجوهر النقي لابن التركماني. بدون ط. 10 مجلدات. بيروت: دار الفكر.

⁸³. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص168.

⁸⁴. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص9.

- البيهقي. أحمد بن الحسين. بدون تاريخ. معرفة السنن والآثار. تحقيق سيد كروي حسن. بدون ط. 8 مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الذهبي. شمس الدين محمد بن أحمد. 1966م. العبر في خبر من غير. تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد. بدون ط. 3 مجلدات. الكويت.
- الذهبي. شمس الدين محمد بن أحمد. 1402 هـ 1982م. سير أعلام النبلاء. تحقيق جماعة من العلماء. ط2. 24 مجلد. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن الترمكاني. علاء الدين بن علي بن عثمان. بدون تاريخ. الجوهر النقي في الرد على البيهقي. مطبوع في هامش السنن الكبرى. بدون ط. 10 مجلدات. دمشق: دار الفكر.
- حاجي خليفة. مصطفى بن عبد الله. 1402 هـ - 1982م. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بدون ط. 6 مجلدات. طهران: المطبعة الإسلامية. وعنهما بيروت: دار الفكر.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1390 هـ - 1971م، مصور عن الطبعة الأولى
- ابن الجوزي. عبد الرحمن بن علي. المنتظم من تاريخ الملوك والأمم. ط1. 9 مجلدات. الهند: دار المعارف العثمانية. 1357 هـ 1938م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نورالدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395 هـ. 1975م
- خلف. د. نجم خلف. 1412 هـ - 1992م. الصناعة الحديثية في السنن الكبرى. ط1. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر.
- خلف. د. نجم خلف. 1414 هـ - 1994م. الإمام البيهقي شيخ الفقه والحديث. سلسلة أعلام المسلمين. ط1. دمشق دار القلم.
- ابن خلكان. أبو العباس أحمد بن محمد. 1971. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بدون ط. 8 مجلدات. بيروت: دار الثقافة.

- الذهبي. شمس الدين محمد بن أحمد. 1402 هـ — 1982 م. سير أعلام النبلاء. تحقيق جماعة من العلماء. ط2. 24 مجلد. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، سنة 1980،
- السبكي. تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. 1964 هـ 1976 م. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمد الظاحي. بدون ط. 10 مجلدات. القاهرة: طبقة عيسى البابي الحلبي.
- السخاوي. محمد بن عبد الرحمن. 1403 هـ. فتح المغيث شرح ألفية الحديث. ط1. 3 مجلدات. بيروت: دار الكتب العلمية.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، سنة 1355هـ،
- السمعاني. أبو سعد عبد الكريم بن محمد. 1400 هـ — 1980 م. الأنساب. ط2. 10 مجلدات. لبنان: الناشر محمد أمين دمج.
- السمعاني. أبو سعد عبد الكريم بن محمد. 1975 م. التحبير في المعجم الكبير. تحقيق منيرة ناجي سالم. بدون ط. مجلدين. بغداد: مطبعة الارشاد.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، بمصر، سنة 1379هـ. 1959م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، سنة 1967م
- ابن الصلاح. أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن. 1404 هـ — 1984 م. علوم الحديث. تحقيق نور الدين عتر. ط2. دمشق: دار الفكر.
- الصفدي. صلاح الدين خليل بن أيبك. بدون تاريخ. الوافي بالوفيات. تحقيق جماعة من المستشرقين والعرب. بدون ط. 9 مجلدات. نشره الألمان.

- صقر. سيد صقر. بدون تاريخ. مقدمة كتاب معرفة السنن والآثار. المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية. بدون ط. مصر: لجنة إحياء أمهات كتب السنة.
- ابن عساكر. أبو القاسم علي بن الحسين. 1347 هـ. تبين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري. بدون ط. دمشق: مطبعة التوفيق.
- ابن العماد. أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد. 1350 هـ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بدون ط. 4 مجلدات. القاهرة.
- د. العمري، أكرم ضياء الدين، التراث والمعاصرة، كتاب الأمة، قطر، 1405 هـ
- العمري. د. أكرم ضياء الدين. 1395 هـ. 1975 م. موارد الخطيب في تاريخ بغداد. ط1. بيروت: دار القلم.
- الغامدي. د. أحمد الغامدي. 1402 هـ. 1982 م. البيهقي وموقفه من الإلهيات. ط2. المجلس العلمي. المدينة المنورة: دار احياء التراث الإسلامي.
- فؤاد السيد، فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب، القاهرة، سنة 1956م، القسم الثاني،
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن محمد، طبقات الشافعية، تحقيق عبد العظيم خان، حيدرآباد، الهند، 1398 هـ،
- القرشي. محي الدين عبد القادر بن محمد. 1332 هـ. الجواهر المضية في طبقات الحنفية. بدون ط. مجلدين. الهند: حيدر آباد.
- ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين، الوفيات، بتحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة 1978، بدون ط
- ابن كثير. عماد الدين إسماعيل بن عمر. بدون تاريخ. البداية والنهاية. تحقيق محمد عبد العزيز النجار. بدون ط. 7 مجلدات. القاهرة: مطبعة السعادة.
- المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي، تحقيق عبد الرحمن عثمان، مطبعة الاعتماد، القاهرة، سنة 1386 هـ/1976 م، بدون ط

-النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، تقريب الإرشاد ومختصر علوم الحديث لابن الصلاح، مكتبة الحلبي، دمشق، بدون تاريخ.

-اليافعي، عبد الله بن سعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، طبع في حيدرآباد، الهند، سنة 1337هـ. 1939م،

-ياقوت الحموي. شهاب الدين أبي عبد الله. 1404 هـ 1984 م. معجم البلدان. بدون ط. 5 مجلدات. بيروت: دار صادر.

